

دروس في تاريخ النظم القانونية

مقدمة لطلبة السنة أولى ليسانس جذع مشترك

الدرس الثالث:

الأهداف التعليمية للدرس:

يستهدف الدرس من خلال هذه المادة التعليمية تحقيق الغايات التالية:

- أن يتعرف الطالب على نظم حضارة مصر القديمة .
- يتعرف الطالب على المراحل التاريخية لمصر القديمة.
- الإحاطة المعرفية أشهر المدونات القانونية لمصر الفرعونية.
- يتمكن من معرفة نظام الحكم، الاسرة، القضاء، نظام الجرائم والعقوبات في المجتمع الفرعوني القديم.

نظم حضارة مصر الفرعونية:

تعتبر حضارة مصر القديمة وبلاد بابل من أقدم الحضارات وقد تعاقب على حكم مصر من القرن 32 ق م إلى أن انتقلت إلى حكم الأشوريين سنة 671 ق م حوالي 30 أسرة تضع عدد

من الملوك وامتاز عهدهم بالتطور الإداري والقضائي. وقد جرى العلماء على تقسيم العصر الفرعوني الذي بلغ ثلاثين قرناً، إلى فترات تشمل كل فترة منها حكم إحدى الأسر التي حكمت مصر، وقد قسم عهد مصر القديمة إلى ثلاث أقسام:

1- عهد الدولة القديمة من 3000 إلى 2255 ق م:

وتميز الحكم فيها بالحكم المطلق باعتبار الألوهية فرعون وأنه المالك الوحيد للأرض التي ورثها عن أجداده فكانت له سلطة مطلقة في المجال القضائي والقانوني الإداري والسياسي مما أدى إلى ظهور طبقة متميزة من رجال الدين والأشراف وتمتعت بامتيازات مالية ودينية كبيرة وحملت ألقاباً شرفية فتحول المجتمع إلى مجتمع طبقي إقطاعي استبدادي مما سبب ثورات أدت إلى ظهور الدولة الوسطى .

2- عهد الدولة الوسطى ما بين حوالي 2100 إلى 1650 ق م:

يمتد من الأسرة 11 إلى الأسرة 17 ، تحول فيها الفراعنة من عبادة الإله راع إلى عبادة الإله أمون، فاسترجع الملك سيادته ووصفه الإلهي وسعى للإصلاح وتطبيق العدالة، وحطم الحواجز الطبقيّة فأصبحت متساوية أمام القانون، لكن هذه الإصلاحات لم تعمر طويلاً حيث عادت الفوضى والانحلال خلال عهد الأسرة 13 حيث غزتها شعوب أخرى أكثر من قرن إلى أن تحررت لتظهر الدولة الحديثة.

3- عهد الدولة الحديثة من 1555 إلى 1050 ق م:

وفيهما ازدهرت مصر وأصبحت لها جيش مكنها من الدفاع عن نفسها وتوسعها نحو بلدان مجاورة سوريا فلسطين ثم ضعف وتسلبت الكهان عليها مما أدى إلى زوال الدولة الحديثة . وابتداء من الأسرة 21 إلى الأسرة 30 أصبحت مصر تابعة للدول الأجنبية . أما الفترات الأخرى فالغالب أن الفرعون هو صانع القانون بنفسه فلم يكن مقيداً بأي سلطة سياسية اعتباراً للألوهية.

المبحث الأول: أشهر المدونات القانونية في مصر الفرعونية

من أشهر القوانين المصرية التي ظهرت في هذه الحقبة:

1-قانون بوخوريس.

2-قانون أما زيس.

3-قانون حو رم حب.

إضافة إلى التعاليم الملكية وقد أشير إليها في بعض الكتب فهي ليست نصوصاً أصلية.

1/ قانون بوخوريس

صدره الملك بوخوريس وهو أحد فراعنة مصر الأسرة 24 من 718-712 ق م جمع فيه النظم والوقائين التي كانت سائدة قبله ومع بعض التعديلات وقد تأثر بتشريعات بابل خاصة قانون حمورابي ومن أبرز الإصلاحات الشخصية:

-منح المساواة للمرأة مع الرجل.

-للرجل الحق في أن يطلق زوجته وللزوجة الحق في طلب الطلاق من الزوج ويمكن طلب مبلغ من المال عند تطليقها .

-تمتعت المرأة بالشخصية القانونية الكاملة وتساوت مع الرجل في حق الميراث وحق التملك باسمها دون إذن زوجها .

-بقي تعدد الزوجات مباحاً إلا إن اشترط خلافه في العقد.

-الغاء الاستعباد بسبب الديون لأن المدين مسؤول عن دينه فإذا عجز عن تسديده استولى عليه الدائن .

-منع حبس المدين ليسهل الاستيلاء على أمواله.

وقد جمع بوخوريس في هذا القانون النظم والقوانين التي كانت سائدة قبله، مع بعض التعديلات، وقد تأثر بتشريعات بابل خاصة قانون حمورابي ومن أهم ما جاء به في مجال الأحوال الشخصية:

-أخذ بنظام تعدد الزوجات مع الاحتفاظ بمرتبة الامتياز للزوجة الأولى.

-انتقل بعد ذلك إلى اتخاذ زوجات غير شرعيات بجانب الشرعيات.

-أطلق مايسمى بنظام الزواج الإلهي، وبموجبه يتزوج الملك الذي له صفة الإله بأخته أو

ابنته بغرض الاحتفاظ بالدم الملكي.

-جعل بوكوريس العصمة بيد المرأة وألزم الزوج إذا طلقها بدفع غرامة مالية فوق مهرها،

ومنحها حرية التعاقد باسمها، أما في مجال المعاملات فقد أخذ قانون بوكوريس ب:

- عمل بمبدأ رضائية العقود

- ألغى المبدأ الذي اعتمده معظم الشرائع القديمة والقائل بأن جسم المدين ضامناً للوفاء بدينه.

- نص على الفائدة الربوية، وبذلك حلت أموال المدين لا جسمه كضامن للوفاء بدينه دون المساس بشخصه.

2/ قانون أمازيس

يعتبر قانون أمازيس نسخة مطابقة لقانون بوخوريس، حيث كانت مجموعة هذا الملك الذي عين على رأس البلاد عام 567 ق.م مستمدة في معظم نصوصها من مجموعة بوكوريس.

ومن أغرب ما جاء به هذا القانون هو اعتارفة بطائفة اللصوص وتقنينه لأحكام خاصة بها، من بين هاته الأحكام فتح سجل لدى كبير اللصوص وعلى كل من يازول الحرفة تسجيل نفسه في هذا السجل، ويتم استرداد المسروقات مقابل دفع ربع قيمتها.

3/ قانون حورم حب

أصدره آخر فراعنة الأسرة الثامنة عشر، ومن أهم ما جاء به:

- عقوبة القاضي الفاسد جذع الأنف أو قطع الأذنين.

- عقوبة من يمتنع عن إنقاذ شخص في خطر محقق به الجلد والصوم ثلاثة أيام.

- الأب الذي يقتل ابنه يجبر على احتضان جثة ابنه ثلاثة أيام على مرأى من الناس.

- يلتزم السارق برد مثليين أو ثلاثة أمثال قيمة الشيء المسروق.

4/ التعليمات الملكية

يصدر الملك الفرعون أحياناً تعليمات لكبار الموظفين مثل الوزير يحثهم فيها على

الالتزام الصارم والشديد بالقانون، ووجدت في هذه التعليمات العناصر النظرية القانونية

مثل اجراءات التقاضي.

المبحث الثاني : النظر القانونية في مصر الفرعونية

-أولا :نظام الحكم

من الناحية السياسية الفرعون هو صاحب السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية باعتباره إله يعبد والوارث الوحيد للأرض وكان الكهنة يشرفون على الشعائر الدينية حيث يطوفون بالبلاد لتثبيت هذه الطقوس وتعبيد الناس للفرعون وكانت لهم امتيازات كثيرة. أما من الناحية الإدارية فقد امتازت الإدارة في مصر القديمة بالتنظيم والتنسيق، وكانت مقسمة إلى إدارة مركزية وأخرى محلية:

-الإدارة المركزية:

توجد بالقصر الملكي، يشرف عليها الفرعون بنفسه حيث كانت تأتيه التقارير والشكاوى اليومية ليدرسها ويتخذ الاجراءات اللازمة، يساعده في ذلك الوزير الأول ومجلس العشرة 10 والمجلس الخاص الاستشاري والمتكون من المقربين وأعوان الفرعون . ويقوم بتنفيذ هذه الخطة مجموعة من الموظفين مهيكليين على شكل هرم مختارون على أساس الكفاءة، ومن بين مهامهم إحصاء السكان -الأراضي والحيوانات، قصد جمع الضرائب، وأحيانا كان الملك يقوم بنفسه بعملية المراقبة.

-الإدارة المحلية:

قسم الملك البلاد إلى 42 مقاطعة شبيه بنظام المحافظات الحالي بمصر منها 22 إقليميا بمصر العليا و 20 إقليميا بمصر السفلى ، على رأس كل منها موظفا يعينه الملك أو حاكم القصر، وكان موظفي المقاطعات يلتزمون بالتطبيق الصارم لتعاليم فرعون ، ووجد على مستوى القرى مجالس للحرفيين والفلاحين والكهان ولكن بدون أي سلطة.

-ثانيا :النظام القضائي

كان الفرعون هو القاضي الأول كما وجدة محاكم عدة تتولى الفصل في المسائل وكان القضاة هم موظفو الفرعون يصدرون الأحكام باسمه وقد وجد نوعين من القضاء:

- 1-القضاء العام : يتولى الفصل في المسائل الناشئة بين الأفراد وهو على درجتين:
 - الدرجة الأولى وهو محاكم المحافظات والإقليم .
 - الدرجة الثانية على مستوى السلطة المركزية أو العليا المحكمة الاستثنائية بحيث كان بإمكان المتقاضى إذا لم يقتنع بالحكم الصادر من الدرجة الأولى أن يستأنف الحكم .

2- القضاء الخاص : محكمة الأشراف والنبلاء إذا كان أحد الخصوم غير عادي كالإداري أو من الأشراف يتولاها الفرعون بنفسه أو من ينوب عنه .

- ثالثا :نظام الأسرة

1- انعقاد الزواج

كما سبق وأن رأينا في قانون بوكوريس، كان الزواج المعروف عند المصريين القدماء هو الزواج الفردي ثم أبيع تعدد الزوجات مع احتفاظ الزوجة الأولى بامتيازات، وكان عند بعض ملوكهم الزواج الإلهي حيث يتزوجون بأخواتهم وأحيانا ببناتهم حفاظا على مايسمى بالدم الملكي .

وكان الزواج يسجل بعقد ديني ومدني، وفي عهد بوخوريس أصبح العقد مدنيا فقط، واشتروا توثيق العقد كي لا تضيع حقوق الأولاد، مع احتواء العقد على الشروط المتفق عليها فيحق للزوجة تحديد المهر، والنفقة الشهرية أو السنوية و يمكنها أن تشتترط عدم التعدد أو عدم الطلاق.

2-انحلال الزواج

كان الطلاق نادرا بسبب التبعات المالية المترتبة، ومن أسبابه: جريمة الزنا – عدم الإنجاب –تطليق الزوجة لزوجها إذا كانت ثرية وتعيش في بيتها وله الحق في استرداد نصف الصداق إذا لم يكن مخطئا. والملاحظ أن المرأة تمتعت بالأهلية القانونية الكاملة في مصر الفرعونية فهي أفضل من المرأة في المجتمع البابلي.

3 -الميراث

اختلف الميراث باختلاف المراحل التاريخية، في البداية كان الميراث للأولاد الشرعيين وإن لم يوجدوا انتقل للزوجة، ثم في مرحلة أخرى امتد إلى الإخوة والأخوات إضافة إلى الزوجة، ثم أصبحت التركة تنتقل لأكبر الأولاد الذي يدير هذه التركة لصالح إخوته أما بوخوريس فقد سوى بين الذكور والإناث في الميراث ومنحه للأولاد الغير شرعيين بعد التبنّي وإذا وجد الأولاد الشرعيين فلهم حق النفقة.

وعموما من الناحية الاجتماعية انقسم المجتمع في مصر القديمة الى طبقتين هما:

1 -الطبقة العليا : الحاكمة وعلى رأسها الفرعون والأشراف والنبلاء الذين يختار منهم الفرعون الوزراء والكهان والموظفين ليساعده في الحكم وكانت لهم امتيازات مالية ودينية وحملهم الألقاب السياسية ولا يخضعون للقضاء العام العادي ومنهم كذلك الجنود أكثرهم هم المرتزقة الذين منحت لهم نصيب من الأراضي لزراعتها والعيش منها .

2 -الطبقة الدنيا : وهي عامة الناس أغلبهم من الفلاحين يعملون تحت رقابة الموظفين والفلاحون مرتبطون بالأرض فإذا بيعت بيعوا معها كوسائل للإنتاج ومنها كانت طبقة العبيد وهم غالبا ما يكونوا عبيدا بسبب الحروب أو تكون أمة .